SANKORE'

Institute of Islamic - African Studies International

عُدَّةُ الْفُقَرَاءِ عَلَى طَرِيقِ الأَصْفِيَاء

فِي شَرْحٍ عَلَى عُمْدَةِ الْعُلَمَاءِ

تأليف

الشيخ أبو الفا عمر محمد شريف بن فريد

الجزء الأول

Copyright © 1435/2014 Muhammad Shareef

Published by

SANKORE'

Institute of Islamic - African Studies International

The Palace of the Sultan of Maiurno

Maiurno، Sennar، Sudan

www.siiasi.org

Book design & art work by Muhammad Shareef

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced، stored in any retrieval system، or transmitted in any form or by any means، electronic or otherwise، without written permission of the publishers

SANKORE'

Institute of Islamic-African Studies International

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما قال العبد الفقير المفتقر
لرحمة ربه عثمان بن محمد بن عثمان المقري وفاه الله
بجوده تغمده الله برحمته آمين الحمد لله رب العالمين
وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه اجمعين ورضي الله تعالى عن السادات
التابعين والعلماء العاملين والائمة الاربعة المجتهدين
ومقلديهم الى يوم الدين اما بعد فهذا كتاب عمدة
العلماء ناجع ان شاء الله لمن عول عليه وانما سميناه
عمدة العلماء لانا ما اوردنا فيه الا ايات الكتاب
واحاديث السنة وهما معتمد هم في اجتهادهم
واستنباطهم واذ ذاك وجه الصواب اذ كل
من تمسك بهما لا يضل وفي الموطا قال صلى الله
عليه وسلم تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم

الورقة 1 من المخطوطة عمدة العلماء للشيخ عثمان بن فودي من مخازن حيدار محمد في مدينة تنبكت المبارك

عُدَّةُ الْفُقَرَاءِ عَلَى طَرِيقِ الأَصْفِيَاء

فِي شَرْحٍ عَلَى عُمْدَةِ الْعُلَمَاءِ

SANKORE'
Institute of Islamic-African Studies International

بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد النّبيّ الأميّ الكريم الّذي بُعِثَ رحمة للعالمين وجُعِلَ ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، وعلى أصحابه وأله الطّاهرين ومن اتباعهم في الإحسان إلى يوم الدّين.

قال أفقر العبد المضطر إلى رحمة ربّه المقيد بكثرة ذنوبه المحجوب بكثرة جهله العاجز في نطقه من عجم لسانه **أبو الف عمر محمد شريف بن فريد**، يغفره الله ووالديه وأهله وأولاده وكل من يتعلق به آمين.

الحمد لله الذي ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ والذي رفع أستار الأسرار عن حقائق في قلوب العلماء ذوى العرفان و﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وشرح بسر ذاته الأقدس صدور المحققين ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ وأسكن محبته في أرواح المحبين له والذي ﴿جعل فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ وهدى إلى أقرب سبله سلوك المخلصين وانعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام وهدانا إلى الإحسان بسنة سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي الذي هو فلق صبح أنوار الوحدانية وطلعة شمس الأسرار الربانية وبهجة قمر الحقائق الصمدنية وعروس الحضرة الرحمانية ونور كل رسول وسناه وسر كل نبي وهداه وجوهر كل ولي وطيله عليه أفلح وأنجح وأتم وأصلح وأزكى وأوفى وارجح وأفضل الصلاة وأجزل المنن والتحيات والتسليم وعلي أله الطاهرين وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد سألني أمير ذو شأن كبير خيره كثير وأمره نظير، ذاك **الأمير الحاج طاهر عمر عبدالله** متعنا الله بأيامه وطوّل عمره ووصله بظلة الله في أرضه القطب الغوث صاحب الوقت السلطان **الحاج أبي بكر بن السلطان محمد الطاهر** بن السلطان محمد بلو ماي ورنو بن السلطان محمد الطاهر الأول بن السلطان أحمد زروق بن السلطان أبي بكر العتيق بن أمير المؤمنين نور الزمان سيف الحق مجدد الدين إمام الأولياء الشيخ عثمان بن فودي تغمده الله وجميعهم برحمته آمين، أن أجمع له شرحا وتعليقا على كتاب **عمدة العلماء** لمحيي الدين والسنة الشيخ عثمان بن فودي، وحين سألني لذلك المطالب كنتُ مشغولا بالهجرة من مصائب ومكايد الكفار الأمريكي وأنصارهم من المنافقين، فما وجدتُ فرصة في هذه الأزمنة لأجابه

حتى هجرتُ ورجعتُ إلى بلاد السودان، فلما وصلتها بحمد الله سلاما وأجتمعتُ مع أهلي وأولادي أمنا أجبتُه إلى ذلك لما رجوتُ لي وله من الثواب العظيم والخير العميم من الرب الكريم لأدخل في جملة قوله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي))، ولما في الإمتناع من الوعيد الشّديد الثّابت في الحديث الأكيد: ((مَن سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِن نَارٍ)).

فأقول وبالله التوفيق قد قرأتُ هذا الكتاب مرارا مع كثير من العلماء في بلاد السودان، ودرستُه أربع مرات مع شيخي وعمدتي وسراجي الشّيخ الإمام الخطيب محمّد الأمين بن أدم كريّانغ بن محمد تُكر بن محمد سَنبُ بن محمد ليلي بن أبي بكر بن سَنبُ دَرْنِيما رحمهم اللّه تعالى في مَايُرنُو في سِنَار في السودان الحالية، وأجازني فيه كما أخذه من والده الشّيخ أدم كريّانغ وهو عن الشّيخ موسى المهاجر وهو عن الإمام علي بن أبي بكر وهو عن المؤلف المبارك نور الزّمان مجدد الدّين إمام الأولياء سيف الحق أمير المؤمنين سيّدي عثمان بن فودي تغمده اللّه في رحمته أمين.

فسميتُ هذا الشرح والتعليق **عُدَّةَ الْفُقَرَاءِ عَلَى طَرِيقِ الأَصْفِيَاءِ فِي شَرْحٍ عَلَى عُمْدَةِ الْعُلَمَاءِ**: فيكون نافع إن شاء الله تعالى لمن اعتمد عليه من عوام المسلمين وخوّاصهم، واسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

فأقول وعلى الله اعتمادي: قال الشيخ رحمة الله عليه مبتدئاً: "**بسم الله الرحمن الرحيم**"، فهي البسملة المشهورة التي اشتملت على اسم الله العظيم الآعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى، وجمعت فيها علوم الأولين والأخرين، قال الوزير أمير المصالح عبد القادر بن غداد بن ليم في بسط الفوائد وتقريب المقاصد: "قال العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز في شرح المختصر: سبب الإبتداء بها الإقتداء بالقرآن الكريم وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وإمتثالا لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في حسن الأخبار والتأسي بفعل السادات الأخيار والقدوة الأخبار، وأما القرآن فمبدؤها لفظا وكتابة في الفاتحة وجميع السور

إلا سورة التوبة، وأما السنة فقد اشتهر في الأحاديث كان صلى الله عليه وسلم يبدؤا بها في رسائله".

وقال سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي الحق: "قال أهل الحقائق وإنما المعنى في بسم الله الرحمن الرحيم التيمّن والتبرّك وحثّ الناس على الابتداء في أقوالهم وأفعالهم ببسم الله كما افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز"، فهو سنة النبيئين السابقين عليهم الصلاة والسلام، فإن سيدنا سليمان بداء بها رسالته إلى ملكة الحبشى واليمن، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وأمرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أمورنا كما رواه عبد القادر الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم اللّه فهو أبتر))، وفي رواية: ((هو أقطع))، وفي رواية: ((هو أجزم))، الحاصل إن الكلام على البسملة بحر زاخر، فلم يصلوا إلى غايته ولا بلغوا إلى نهايته، وقد نص العلماء على أن من أراد قراءة علم ينبغي له أن يذكر الغرض المتعلق بها من ذاك العلم، فعليه أن يذكر البسملة كثيرة ففضائل البسملة لا يمكن حصره، فمن يريد فضائلها انظر كتاب قرى الأحباء للعارف الشيخ محمد تكر بن محمد وبسط الفوائد المذكور للوزير وأمير المصالح عبد القادر بن غداد.

وقال الشيخ رحمة الله عليه "صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمً، امتثالا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾، وإقتدئاً بقوله صلّى اللّه عليه وسلّم: ((مَن صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب)) الحديث، إن شاء الله سيأتي بذكر القول البالغ في معنى وأسرار وفوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد.

قال الشيخ رحمة الله عليه: "قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُضْطَرُ لِرَحْمَةِ رَبِّهِ" أي إعتارفا لعدم القُدرة بكلّ حال في ذاته وعرضه، فسمى نفسه "العبد الفقير المضطر"، وصفا لحقيقة ذاته بالعبدية والفقر والفاقة والإحتياج وغير ذلك من صفات التي هي حقيقة الإنسان والمخلوقات، أما العبد فهو المملوك خلاف الحُرّ، قيل هو الإنسان حُرًّا كانَ أو رقيقاً لأنّه مربوبٌ ومملوك لبارئه عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿اعبُدُوا رَبَّكُمْ﴾

أي كنوا من عباد الله، فخطاب لجميع المخلوقات من الإنس والجن، بل كل شيء سوى الله عز وجل.

أما الفقير فهو المحتاج لا شيء له، قال اللّه تعالى: ﴿يأيها النّاسُ انتمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُوَ اَلْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وقال الشيخ الحاتمي: "الفقير هو الذي يفتقر إلى كل شيء ولا يفتقر إليه شيء، وهذا هو العبد المحض عند المحققين، فتكون حاله في شيئية وجوده كحاله في شيئية عدمه"، وقال الشيخ ابن الحاج في الفقير: "أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته لشغله بربّه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغير، فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح، وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلى والمخاطبة في سره بما يليق بحاله".

وقال الولي أبو يزيد البسطامي رحمه الله: "قال لي الحقّ: قرّب إليّ بما ليس لي: الذلّة والافتقار"، وقال الشيخ أحمد بن عجيبة رحمه اللّه: "أمّا الفقير فهو الّذي افتقر مما سِوَى اللّه، ورفض كلّ ما يُشغله عن اللّه، لذا قالوا: الفقير لا يَمْلِك ولا يُمْلَكُ، أي لا يَمْلِك شيئا ولا يملكهُ شيءٌ وشروط الفقير أربعة:[1] رفع الهمّة، [2] وحسن الخدمة، [3] وتعظيم الحرمة، [4] ونفوذ العزيمة"، فالفقر هو سبب ورود المواهب الإلاهية، فلذلك قال العارف إبن عطاءالله في الحكم: "أن أردتَ ورودَ المواهب الربانية عليك صحّح الفقر والحاجة لديك، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾"، أي الصدقات الظاهرة الدنيوية للفقراء والمحتاج لأموال الدنيوية والصدقات الباطنة الإلاهية للفقراء والمحتاج لأموال الروحانية.

أما المضطر فهو الّذي في ضيق الحال، وأصله من الضّرَرِ، قال تعالى: ﴿فَمَن اضْطُرَّ﴾ أي فمن أُلْجِئَ إلى أكل الميتة وما حُرِّم وضُيِّقَ عليه الأمرُ بالجُوع، أو من دعته ضرورة المخمصة إلى تناول شيء مما حُرِّم ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، على مضطر آخر ﴿وَلاَ عَادٍ﴾ متعد قدر الضرورة وسد الرمق، ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي لا يؤاخذه الله تعالى بذلك، قال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي: "الاضْطرار الاحْتياجُ إلى الشيء"، فالمضطر لرحمة ربّه هو الّذي محتاج إلى الله تعالى في كل شيء حتى صار في عينه كما كان في بداية أمره مفقوداً مجهولا غير موجود وشَيْء

لاَ مَذْكُورَا، وفي ظلم هذا العدم المحض السابق نشر الحق عليه من نوره وروحه ورحمته، فيرى بذوقه أن هذا حقيقة الأمر لجميع المخلوقات، فكل شيء مضطر يفتقر لرحمة ربّه، ومقامه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**عُثْمَانَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْمَعْرُوفُ بِإِبْنِ فُودُيَ**" وهو أمير المؤمنين ابو محمد سعد، عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هرون بن محمد غُرطُ بن محمد جُبَّ بن محمد سَنْبُ بن ماسِرَانَ بن أيوب بن بُوبَ بَابَا بن ابي بكر بن موسى جُكُّلِّ بن الإمام دَمْبُبَ الترودي الفلاتي السوداني المجدد، المعروف في لغة الحوسية بـ"ضان فودي"، ومعنى "ضَان" في لغة الحوسية "إين"، ومعنى فُودُىَ في لغة الفلاتيّة "الفقيه" أي كان والده محمد عالما جليلا المشهور بالعلم والتقوى، وأمّا أم المؤلف فهي السيدة حواء بنت السيدة فاطمة بنت محمد الشريف بن عبد الصمد بن أحمد الشريف بن علي اليَنْبُعِي بن عبد الرّزاق بن الصّالح بن المبارك بن أحمد بن أبي الحسن علي الشّاذلي بن عبد اللّه بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن السّبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزّهرة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وعلى آله الطّاهرين وأصْحابه المرضئين، فانظر إلى المقدمة لنبذة في حياته.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**تغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ أَمِينَ**" أي غَمَده فيها وغَمَرَه بها، وروى الطبراني عن أسامة بن شريك أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((ما أَحَدٌ يَدْخُلُ الجنَّة بِعَمَلِه))، قالوا: ولا أَنت؟ قال: ((ولا أَنا إلاَّ أَن يَتَغَمَّدَني اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ))، قال أَبو عبيد: قوله: يتغمدني يَلْبَسَني ويَتَغَشَّاني ويَسْتُرَني بها، ولا بد أنه عليه الصلاة والسلام كذلك لأن قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا أَرْسلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَة للعَالَمِين﴾، فإن كان إشار برحمة الله تعالى إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم فمعنى قوله: "تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ: أي غمده في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وغمره في سنته وفاضه بفيض أنواره، والله تعالى اعلم.

قال الشيخ رحمة الله عليه: "اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ" إقتدائاً بكتاب الله المعصوم إذ قال تعالى في فاتحة الكتاب: ﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وعملا بمقتضى قوله صلّى اللّه عليه وسلّم: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يَبْدَأُ بِالْحَمْدِ لِلّهِ وَالصَّلاةِ عَلَيَّ فَهُوَ أَقْطَعُ)) كما رواه عبد القادر الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة، فإن الحمد كان أول الكلام ينطق به أبونا آدم عليه السلام حين نفخ فيه روحا من ربّه، فيكون إن شاء الله تعالى آخر دعواتنا ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلّه رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فالحمد بعتبار المخلوق هو الثّناء بالقلب واللّسان والعضو على المحمود بصفاته الجميلة في مقام التّعظيم، والحمد بعتبار الخالق هو الثّناء لنفسه بجميع المحامد كلّها وحمده لخواص عباده من أنبيائه وملائكته وأوليائه، وقال الشّيخ ماء العينين في دليل الرّفاق: "والحمد أربعة أقسام: حمدان قديمان وحمدان حادثان"، فحمدان قديمان [كما قدّمنا] هما ما يتعلقان بالقديم لأنه ثنائه لنفسه وحمده لأصفيائه من عباده، فحمد الحادث لله بالقلب واللسان والجوارح يصدر من جميع المخلوقات كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ﴾، وقال بعض العلماء أن الحمد هو ذات الشكر من قوله عليه الصلاة والسلام: ((اَلْحَمْدُ رَأسُ الشُّكْرِ))، وقيل أن الحمد هو بالقلب واللسان، وأما الشكر هو بالجوارح في الطاعات.

وقال الشيخ رحمة الله عليه في طريق الجنة ملاخصا: "... عَلَيْكَ يَا أَخِي ... بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِدَوَامِ النِّعْمَةِ، وَالثَّانِي لِحُصُولِ الزِّيَادَةِ، فَأَمَّا دَوَامُ النِّعْمَةِ فَلِأَنَّ الشُّكْرَ قَيْدُ النِّعَمِ وَبِهِ تَدُومُ وَبِتَرْكِهِ تَزُولُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وَأَمَا حُصُولُ الزِّيَادَةِ فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اَلْحَمْدُ عَلَى النِّعْمَةِ أَمَانٌ لِزَوَالِهَا)).

وقال الشّيخ رحمة الله عليه في كتاب الورد: "كانت حقّ علينا أن نحمد الله حقّ التحميدات فرضا ووجوبا بغير تحديد"، أي نحمده بمعرفة قلوبنا وتسبيح إلسنتنا وطاعات جوارحنا وجميع أنواع عباداتنا بغير تحديد لنعمه لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال شقيق الشيخ علامة السودان الأستاذ عبد الله بن فودي في تعليم الأنعام: "وقيل في قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ

نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، هي نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم"، أي لا تطيقوا عدّ نعمة الله ولا تقوموا بحصرها لكثرتها، كالسمع والبصر وتقويم الصور، والعافية والرزق والوجود والإسلام والعلم والمعرفة وغير ذلك، فكل هذه النعم من الله وسبب نعم الله هو سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلو لا هو ما خلق الله هذه النعم وما خلق كل شيء كما ورد في الحديث الصحيح، فلذلك واجب علينا أن نحبّه عليه السلام ونتبع سنته ونتخلّق بأخلاقه ونصلي عليه على الدوام، وقال الشيخ علي القاري في شرحه للشفا: "انه صلى اللّه عليه وسلم رحمة لجميع خلق اللّه تعالى...لو لا نور وجوده وظهور كرمه وجوده لما خلق الافلاك ولا اوجد الاملاك، فهو مظهر للرحمة الالهية التي وسعت كل شيء من الحقائق الكونية المحتاج الى نعمة الايجاد ثم الى منحة الامداد".

ولذلك قال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَأَفْضَلُ الصَّلاَةُ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ**"، أي صلوات الله وتسليمه على النبي لأنه لا الصلاة ولا السلام أفضل وأتم من صلوات الله وتسليمه لديه لأنه لا بداية ولا نهاية لأفعاله، فيدوم صلواته وتسليمه بدوامه بلا نهاية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، فلما حمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو أهلا له بقوله: "الحمد لله ربّ العالمين" فكان من شكره تعالى شكر الواسطة إقتدائا بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

فلا واسطة النعم أعظم ولا أوسع ولا أكمل من سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فشكر الواسطة شكر الموسوط، قال عليه الصلاة والسلام: ((مَن لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللهَ))، فلذا نشكر سيّدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بكثرة الصلاة والتسليم عليه، قال الشيخ رحمة الله عليه في كتاب الورد: "الصلاةُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضٌ علينا واجبةٌ بالدّوام بغير عددٍ"، فلذا كان من أوراد الشيخ رحمة الله عليه أن يصلى على النبي على دوام وببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حصل للشيخ الجذب الإلهي، وأمدّه الله بفيض الأنوار والكشف الأكبر إذ كان يواظب عليها من غير ملل ولا كلال ولا فترة، وهكذا كان أوراد جماعته كما قال بعض الشاعر في صُكُوتُ:

وفيها عبادٌ صالحون طباعهم * صلاة على المختار ليلا نهارها

يصلى فيها الفا والفين بعده * ويـــأتي بورد القادرية كلها

وقال القطب الكامل الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد الفضل رحمهما الله تعالى في المرافق على الموافق: "واعلم أن المطلوب من الصلاة على النبي عليه السلام من العبيد إنما هو زيادتها، وأما حصولها، فقد حصل قبل إيجاد المخلوقات لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتِهِ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، فصلاته تعالى عليه عليه السلام سابقة لكل شيء، ومن فوائدها تكفير الخطايا وتزكية الأعمال ورفع الدرجات ومغفرة الذنوب وكفاية أمر الدنيا والآخرة والنجاة من سائر الأهوال والكيل بالمكيال الأوفى ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت، وتزيين المجالس وتقضي الدَّين، ومنها أنها تنصر على الأعداء وتطهر القلب من النفاق والصداء وتوجب صحبة المؤمنين، فلا يكره صاحبها إلا منافق".

وقال شقيق المصنف علامة السودان الشيخ عبد الله بن فودي في ضياء القواعد: "وَلاَ شَكَّ أَنَّهَا [أي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم] مِن أَشْرَفِ شِعَارُ الدِّينِ تَنْطَوِي تَحْتَهَا سَائِرِ مَقَامَاتِ الْيَقِينِ، وَلَمَّا نَزَّلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الأَيَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: ((لَقَدْ أَغْنَانِي اللَّهُ عَن صَلاَتِكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَكُمْ بِهَا كَرَامَةً لَكُمْ)) اِنْتَهَىَ، فانشد:

هَذِهِ الْكَرَامَةَ هَل سَمِعتَ بِمِثْلِهَا * فَأَدِمْ عَلَى السَّاعَاتِ طِيبَ شَذَاهَا

صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ وَكَفَى بِهَا * فَالْخَيْرَ أَجْمَعَهَا لَدَى مَثْوَاهَا

فَالصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِعْرَاجُ إِذَا لَمْ يَلِق الطَّالِبُ شَيْخًا مُرْشِدًا، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الصَّلاَةُ عَلَيَّ نُورٌ فِي الْقَلْبِ وَنُورٌ فِي الصِّرَاطِ))، اِنْتَهى، وَإِذَا دَخَلَ النُّورُ فِي الْقَلْبِ خَرَجَتْ مِنْهُ الظُّلْمَةُ فَاهْتَدَى، وَمَهْمَى صَعَبَ عَلَيْكَ الْمَرَامُ فَعَلَيْكَ بِإِكْثَارِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَاسِطَةُ بِيْنَنَا وَبَيْنَ رَبُّنَا تَعَالَى وَالدَّلِيلُ لَنَا عَلَيْهِ وَمَدَدُ جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَمِيعُ أَعْمَالِهِم تُعْرِضُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، وَبِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ يَكْتَسِبُ النُّورَ وَلاَ تَزُولُ الظُّلْمَةَ إِلَّا بِالنُّورِ، وَمَعنَى الظُّلْمَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّفْسِ مِنَ الدَّنَسِ وَالْقَلْبِ مِنَ الصَّدِي زَلَّتِ الْعِلَلَ الْمَانِعَةَ لِلْخَيْرِ، وَلاَ يَحْصُلُ إِتِّبَاعُ أَفْعَالِهِ وَأَخْلاَقِهِ إِلَّا بِالْمُبَالِغَةِ

فِي حُبِّهِ، وَلاَ تَحْصُلُ إِلَّا بِكَثْرَةِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ، وَمَن أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِن ذِكْرِهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَلِ مُحَمَّدٍ))، رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي الأَوْسَطِ".

فسمى النّبيّ "سيّدا" إقتدائاً بقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَم وَلاَ فَخْرٌ))، وبقوله عليه السلام: ((أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، قَالَ العارف بالله الشيخ محمد بن أحمد المنْلا في السفينة القادرية: "السيّد هُو الّذي يَسُودُ قَوْمَهُ أَي يتقدّم عليهم بما فيه من خِصالِ الْكمال والشّرف التّام، وقيل: هو الكامل المحتاج إليه بإطلاقِ أو العظيم المحتاج إليه غيره، وقيل: هو الذي يرأس قومه، وقيل: هو المالك الذي تجب طاعته، ولهذا يقال: سيّد الغلامِ، ولا يقال: سيّد الثواب، وقيل هو الحليم، وقيل: السخي، ويطلق على الزوج، ومنه: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَها لَدَا الْبَابِ﴾، هذا قول اللغة في السيد، وأما أهل التفسير، فقال إبن عباس: السيّد هو الكريم على ربّه عزّ وجلّ، وقال قتادة: السيد العابد الورع الحليم، وقال عِكرمة: السيّد الذي لا يغلبه غضب وسيّادته صلى الله عليه وسلّم أجلى وأظهر وأوضح من أن يستدلّ عليها، فهو سيّد العالم بأسره من غير تقييد، ولا تخصص في الدنيا والآخرة"، وغيرها من أقوال نفيس للعارف بالله الشيخ المنلا رحمه الله تعالى، فمن يريدها فأرجع إلى سفينته، وسماه "محمدا" لأنه أشهر الإسم من أسمائه، فسماه به جده عبد المطالب يوم سابعه، أي يوم عقيقته، وقيل له: "لِمَ سميتَه به، وليس من أسماء آبائِكَ؟"، فقال: "أردتُ أن يُحْمِدُ في السماء والآرض"، وقيل أن أمه أمينة أمرتْ بتسميته به قبل ولادته.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَعَلَى أَلِهِ**"، أي أهل بيته، فأصله من آل أي آل إلى الشيء أو رجع إليه أو عاد إليه، فمعنى آل الرجل أزواجه وأولاده وذريته الذين عادوا إليه أو يرجعوا إليه، قال تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلِ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي ذرية إبراهيم وإتباعه على دينه، فمعنى بآل محمد أزواجه وأولاده وذريته، وقيل إتباعه وقيل أمّته.

والصحيح هم آل بيته الذين حرمت عليهم الصدقة وعُوِّضوا منها الخُمس، وهي صَلِيبة بني هاشم وبني المطلب، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه بعد نبيه صلوات الله عليه وعليهم أَجمعين،.وروي في الحديث: ((لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةَ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ))، وقال ابن الأَثير: واختلف في آل النبي صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل الصدقة لهم.

فالأَكثر على أَنهم أَهل بيته، أي أزواجه وأولاده وعلي بن أبي طالب وأولاده وذريته من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعليهم وسلم، وجعفر بن أبي طالب وأولاده وعقيل بن أبي طالب وأولاده والعباس بن عبد المطالب وأولاده والحارث بن عبد المطالب وأولاده، وقال القاضي عياض في الشفا: "متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم"، فمنهم آله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهُمَّ أَجْعَلْ صَلَوَاتَكَ وَبَرَكَاتَكَ عَلَى آلِ أَحْمَدٍ))، فيريد نفسه أي أهل بيته.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "وَصَحْبِهِ" أي أفضل الصلاة والسلام وأتم التسليم على جميع أصحابه، فهذا دليل أيضا على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال القاضي عياض: "وفي حديث إبن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي"، فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم كل الرجال والنساء من الإنس والجن الذين خصّهم الله برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، وسمعوا منه وأسلموا في زمانه ومات على الإسلام ولو كانت صحبتهم له عليه الصلاة والسلام يوما واحدا.

وقال الشيخ رحمة الله عليه في إحياء السنة: "إن الله عز وجل خصّهم بإقامة دينه واعلاء كلمته،... فخصّهم الله بخصوصة لا سبيل لأحد أن يلحق غبار أحدهم فضلا عم عمله، إن الله عز وجل خصّهم برُؤية نبيّه عليه السلام ومشاهدته ونزول القرآن عليهم غضا طريّا يتلقّونه من فى النبي صلى الله عليه وسلم حين يتلقّاه من فى جبريل عليه السلام، وخصّهم بالقتال بين يدي نبيّه ونصره وحمايته وإذلال الكفر وإخماده ورفع منار الإسلام واعلائه وحفظهم أي القرآن الذي كان ينزل نجوما نجوما، فأهلّهم الله لحفظه حتّى لم يضع منه حرف واحد، فجمعوه ويسروه لمن بعدهم، وفتحوا

البلاد والأقاليم للمسلمين ومهّدوا لهم وحفظوا أحاديث نبيّهم في صدورهم وأثبتواها على ما ينبغي من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة"، فخصّهم الله تعالى بخصوصة لا يخصّه للناس قبلهم ولا بعدهم فقال فيهم: ﴿أَنْتُم خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**أَجْمَعِينَ**"، أي صلى على جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وعليهم أجمعين من أهل بيته والمهاجرين والأنصار وغيرهم ولا فرّق بينهم، ففي هذا سرٌ من أسرار الشيخ في عقيدته بنسبة حرمة أصحاب سيدنا محمد صلوات الله ورضوانه عليهم بأنه قد ورد في الخبر الصحاح أن حبّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمهاجرين والأنصار وعداوة مَن عاداهم من علامة الإيمان، فقد روى أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود: ((لاَ تَبْلُغُنِي عَن أَصْحَابِي إِلَّا خَيْرًا فَإِنِّي أُحِبُّ أُخْرُجَ إِلَيْهِم وَأَنا سَلِيمُ الصُّدْرِ))، وفي رواية: ((لا يُبلّغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي))، بمعنى النهي أي لا يوصلني من قبل أحد منكم من الناس عن أي واحد من أصحابي أو من الذين من بعدهم في أمته، وفي رواية: ((عن أصحابي شئياً)) أي مما أكرهه وأغضب عليه من الشتم والقول السوء وغيرها من الأفعال والأقوال، فمعناه إن النبي صلى الله عليه وسلم نهي أي كلام السوء في أصحابه إلا قولا فيه مصلحة ونافع وإحسان فيهم، قال إبن المالك: "والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم يتمنى أن يخرج من الدنيا وقلبه راض عن أصحابه من غير سخط على أحد منهم".

والحاصل أن هذا الحديث من أخبار كثيرة في نهي سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأن يعتقد فيهم السوء، فروى الإمام البغوي في السنة في باب وعيد النمام دليلاً على أن هذا الحديث النهى العام عن الغيبة والنميمة، والنهي الخاص عن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه أيضاً وجوب توقيرهم وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم كما بيّنه القاضي عياض في الشفا.

وقال فيه أي في الشفا: "عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)) وقال: ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم))، وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: ((مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام، لا يصلح الطعام إلا به))، وقال: ((الله! ألله! في اصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذ))، وقال: ((لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))، وقال: ((من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً))، وقال: ((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)).

وقال في حديث جابر: ((إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار لي منهم أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابهم كلهم خير))، وقال: ((من أحب عمر فقد أحبني، ومن أبغض عمر فقد أبغضني))، وقال مالك بن أنس وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق))، ونزل بآية الحشر: ﴿وَمَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فروى أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((شَفَاعَتِي مُباحةٌ إلا لِمَن سَبّ أَصْحَابِي))، وفي رواية الدّيلمي: ((...إلا على من سبّ أصحابي))، فالحاصل أنه عليه الصلاة والسلام يمنع جميع الناس إلى يوم الدين عن سب الصحابة رضوان الله عليهم ليحفظ عرضهم وأن لا فرّق بينهم، فلذا

يستعمل الشّيخ رحمة الله الصيغة: "أجمعين"، لدخول كلهم في حرمة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ السَّادَاتِ التَّابِعِينَ**" أي رضي الله تعالى عن القرن بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم التابعون الذين ضبطوا أمر الشريعة أتم ضبطٍ وتلقوا الأحكام والتفسير والأحاديث من أفواه الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فحصل للتابعين نصيب وافر في إقامة الدين ورؤية من يصحب صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام، فلذلك كانوا خيراً من الذين جاؤوا من بعدهم.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَالْعُلَمَآءِ الْعَامِلِينَ**"، أي رضي الله تعالى عن العلماء بالله والأولياء من أهل السنّة والجماعة في القرن الثالث الذين عملوا بعلمهم، وهم تابعو التابعين الذين ورثوا العلوم والمقامات من التابعين، وقال الشيخ في إحياء السّنّة: "وفيهم حدث الفقهاء المقلدون المرجوع إليهم في النوازل الكاشفون للكروب، فوجدوا القرآن والحمد لله مجموعاً ميسراً، ووجدوا الأحاديث على مقتضى قواعد الشريعة، واستخرجوا قواعد القرآن والأحاديث، واستنبطوا منها فوائد، واحكموا وثبتوا على مقتضى الأصول، ودوّنوا الدّواوين ويسروا على النّاس، وأزالوا المشكلات باستخراج الفروع من الأصول ورد الفرع إلى أصله وتبيين الأصل من فرعه، فانتظم الحال واستقر أمر دين الأمّة المحمدية بسببهم، فحصلت لهم في إقامة هذا الدين خصوصية أيضا بلقائهم مَن رأى مَن رأى صاحب العصمة، فإنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة علوم ومقامات الأنبياء في قوله في رواية أبي يعلى في مسنده عن أبي الدرداء: ((إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِّثُواْ دِينَارًا وَلاَ دَرْهَمًا وَلَكِنَّهُم وُرِثُواْ العِلْمُ، فَمَن أَخَذَ بِالعِلْمِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظِهِ)).

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَالأَيِّمَةِ الأَرْبَعَةِ الْمُجْتَهِدِينَ**"، أي رضي الله تعالى عن الإمام مالك بن أنس والإمام أبي حنيفة نعمان والإمام محمد بن إدريس الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رضوان الله عليهم، فهم أيضا من تابع التابعين، ولكن خصّهم بذكر لأنهم أئمتهم وأقطاب أروائهم ومدار إختلافهم وعين فروعهم، فأجمعوا الأمة على إن هذه الأئمة الأربعة هم أئمة المذاهب إلى عين الشريعة، وقال

الشيخ رحمة الله عليه في توفيق المسلمين: "إن كل واحد منهم مجتهد في دين الله ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله تعالى"، وقال قبل ذلك الكلام بقليل: "إن علماء السنة رضي الله عنهم أجمعين أجمعوا على إن من قلّد مذهبا من تلك المذاهب لقي الله سالما ويوصله ذلك المذهب إلى الجنة".

فهذه القرون الثلاثة أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابع التابعين رضوان الله عليهم هم من أفضل القرون أخرجوا من الناس أولِهم وآخرِهم، وهم كما قال الشيخ في إحياء السّنّة: "الّذين شهِد لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بالفضيلة بقوله: ((خيرُ القُرُون قَرْني ثُمّ الّذين يَلُونَهُمْ ثمّ الّذين يَلُونَهُمْ))، لم يبقُوا لمن بعدهم شيئا يُحتاجُ أن يقُوم به بل كلُّ من أتى بعدهم إنّما هو مُقَلِّدٌ لهم في الغالب وتابعَ لهم، فإن ظهر له فِقْهٌ غير فِقْهِهم أو فائدةٌ غير فائدتِهم فمردودٌ كلّ ذلك عليه، فهو دين اللّه الّذي يُدانُ به، وما خالفه فهو بدعةٌ وضلالةٌ مردودةٌ على صاحبها غير مقبولةٍ"

فهذه القرون الثّلاثة هم أهل السّلف الصّالح ولا يسمون السّلفيّ إلا هم، والّذين يزعمون في هذه الأزمنة أنّهم سلفيون فهم أهل الهوى والبدعة والضّلال لأنّهم يكفرون أهل الله ويقتلون المسلمين بغير حقّ ويتركون الأخلاق المحمودة المحمدية التي هي عين السنة، وفي نفس الوقت يزعموا أنهم أهل السنّة، إنّ أهل السنة هم الذين يفناء نفوسهم في محبة النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا.

أقول من جهة الإشارة مضمن في دعائه كل العالم بالله الذي يقتدأ بهم ويقلدهم على مذاهبهم، فهذا معناه في الظاهر، وفي الباطن الأئمة الأربعة المجتهدون هم الأقطاب الأربعة المجتهدون في طريق إلى الله ومعرفته، فهم الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني والشيخ العارف أحمد الرّفاعي والشّيخ العارف أحمد البدوي والشّيخ إبراهيم الدّسوقي رضوان الله عليهم وقدّس الله أسرارهم.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَمُقَلِّدِيهِمُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**"، أي رضي الله تعالى عن الذين يتبعوا هذه القرون الثلاثة ويلزموا طريقهم في الإحسان إلى يوم الدين، وأصل مقلّد من قلّد أي قلّده الأمر: ألزمه إيّاه، وهو مجازٌ، كما قال الشيخ الزبيدي في تاج العروس، وتقلّد الأمرَ احتمله، يقول: "قَلَّدْتُهَا قِلادَةً"، أي جعلتُها في عُنُقِها،

فتقلّدت، ومنه التقليد في الدّين وتقليد الوُلاة الأعمالِ، وهو مجاز كما في تاج أيضا، فالمقلّد هو الذي لا وصل لمقام مجتهد، فكل من لم وصل إلى مقام الإجتهاد فهو مقلّد بنسبة المجتهد، فواجب على العوام والمتوسطين يقلّدوا العلماء ويجعلوا أقوالهم على عنقهم، وواجب على العلماء يقلّدوا دلائل المجتهدين، فلا يجوز للمجتهد يقلّد مجتهدا آخر لأنه لا يحتج بأمر إجتهاد غيره، فهذا الأمر لمن لم يوصل لمقام الإجتهادية إلى يوم الدين.

قال الشيخ رحمة الله عليه: "**أَمَّا بَعْدُ**" أي أما بعد البسملة والتحميد والتمجيد وشكر الواسطة والدعاء للأمة الأخ، فقيل: فصلُ الخِطَاب هو "أَمّا بَعْدُ"، وقيل أن داود عليه السلام أَوَّلُ من قال: "أَمَّا بَعْدُ" كما رواه الطبراني مرفوعا من حديث أبي موسى الأشعري، ولكن فيه أقوال، وقال أبو سلمة: "أول من قال: أما بعد كعب بن لوي"، وقيل أول من قالها النبي يعقوب عليه السلام كما رواه الدارقطني، وقيل أول من قالها يعرب بن قحطان، وقيل: فَصلُ الخِطاب الفِقْهُ في القَضَاءِ، وقال أَبو العباس: معنى: أَمَّا بعدُ، أَمَّا بَعْدَ ما مَضَى من الكَلامِ، فهو كذا وكذا، وقال سيبويه: "أما بعد معناها مهما يكن من شيء بعد"، أو معناه أما بعد نسمية الله تعالى وتحميده والصلاة والسلام على رسوله وإتباعه من أهله وصحبه وأمته، فأنه اتسحباب قول "أما بعد" في الخطب، وقد جاءت به أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، وقد ذكر البخاريّ في صحيحه باباً في البداءة في الخطبة بأما بعد، وذكر فيه جملة من الأحاديث تدل على جوازها، ومعنى قوله: "**فَهَذِا كتاب**" أي هذه كتابة أو هذه مجموعة بين يديك

قال الشيخ رحمة الله عليه: "**عُمْدَةُ العُلَمآءِ**"، أي أساسهم الذي يعتمدوا عليه، قال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي: "والعُمْدَةُ بالضّمِّ: ما يُعْتَمَدُ عليه أي يُتَّكأُ ويُتَّكَلُ، يقال: اعتَمَدْتُ على الشيْءِ: أي اتَّكأْتُ عليه، ويقال: اعْتَمَدْتُ عليه في كذا، أَي اتَّكَلْت عليه، فقال للقوم: أنتم عُمدتُنا الذين يُعتمد عليه، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، وفسر الفَرّاءُ في معنى قوله تعلى ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قولان: أَحدُها أَنَّه خَلَقَها مَرفُوعةً بلا عَمَدٍ، ولا تَحْتَاجُون مع الرؤْية إِلى خَبَرٍ، والقولُ الثاني أَنه خَلَقَها بِعَمَدٍ لا تَرَوْنَ تِلك العَمَدَ، وقيل: العَمَدُ التي لا تُرَى : قُدْرَتُه،

واحتَجَّ اللَّيْثُ بأَنَّ عَمَدَها جَبَلُ قاف المحيطُ بالدُّنْيا، والسَّماءُ مثْلُ القُبَّةِ أَطرَافُها على قافٍ مِن زَبَرْجَدةٍ خَضراءَ، ويقال: إنَّ خُضرةَ السّمَاءِ من ذلك الجَبَلِ".

ومعنى عمدة هنا إسناد العلماء في علوم الدين، أي الأصول التي يعتمدوا عليه العلماء في إستنباطهم، فسماه عمدة العلماء، لأنه الأساس لهم في العلوم التي وجبت عليهم، فعمدة ذوي العلم في أمرين كما سيبيّن: هما كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمعناه إن في هذا الكتاب كل أيات وأحاديث يعتمدون عليها العلماء في دلائل عقائدهم وعبادتهم ومعاملاتهم وتزكيتهم، وإستنباطهم، وإجتهادهم ومعرفاتهم وكشوفاتهم، كما سيأتي.

فأما في باب التوحيد أو أصول الدين الذي هو الإيمان فقد قال الشيخ رحمة الله عليه في اِلْقَوَاعِدِ اِلْكَشْفِيَّةِ: "اِعْلَمْ يَآ أَخِي أَنَّ عُلَمَآءِ اِلإِسْلاَمِ مَا صَنَّفُواْ كُتُبَ عِلْمِ اِلْكَلاَمِ لِيُثْبِتُواْ فِي أَنفُسِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمُ اَلْعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا صَنَّفُوهَا إِرْدَاعاً لِّلْخُصُومِ اِلَّذِينَ هُمُ الْفَلاَسِفَةُ وَاَلْمُعْتَزِلَةُ، فَطَلَبُواْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِقَامَة اِلأَدِلَّةِ اِلْقَطْعِيَّةِ عَلَيْهِمْ لِيَرْجِعُواْ إِلَي اعْتِقَادٍ وُجُوبِ اِلإِيمَانِ لِمَا جَآءَتْ بِهِ اِلرُّسُلُ عَن رَبِّهِمْ لاَ غَيْرُ"، ثُمَّ قَالَ: "فَاعْلَمْ أَنَّ مَن أَرَادَ حِفْظَ عَقِيدَتِهِ مِنَ اَلزَّيْغِ وَاَلْفَسَادِ, فَإِنَّهُ كُلَّهُ مُتَوَاتِرٌ قَطْعِيٌّ مَّعْصُومٌ".

وأما في باب الفقه أو الشريعة الذي هو الإسلام فقد قال الشيخ رحمة الله عليه في نجم الإخوان: "وقال عبد الوهاب الشعرانى فى اليواقيت: سمع سيدي عليا الخواصى رحمه الله يقول: اعملوا على الجمع بين أقوال العلماء جهدكم، فإن أعمال القولين من إلغاء أحدهما، وبذلك يقل تناقض أقوال العلماء، ومن وصل مقام الكشف وجد جميع الأئمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة فى شىء من أقوالهم، وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة، لأنهم على آثار الرسل سلكوا فكما أنه يجب عليك يا أخى الإيمان والتصديق بكل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهرا، فكذلك يجب عليك الإيمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون، وإن خالف مذهب إمامك".

وأما في باب التصوّف أو الأسرار تعلق بتطهير القلوب الذي هو الإحسان فقد قال الشيخ رحمة الله عليه في أصول الولاية: "فَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ أُصُولَ الْوِلاَيَةِ وَشُرُوطَهَا مَبْنِيَةٌ عَلَى: مُلاَزِمَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَرْكِ الأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، وَتَعْظِيمِ حُرُمَاتِ

المَشَائِخِ، وَرُؤْيَةِ إِعْدَامِ الْخَلْقِ، وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى الأَوْرَادِ، وَتَرْكِ الرُّخْصِ، وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ إِلَّا مِن اِقْتَفَاءِ آثَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ سَهْلُ ابْنُ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُصُولُنَا عَلَى سِتَّةِ أَشْيَاءَ: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ، وَأَكْلِ الْحَلاَلِ، وَكَفِّ الأَذَى، وَاجْتِنابِ الأَثَامِ، وَالتَّوْبَةِ، وَأَدَاءِ الْحُقُوقِ، وَقَالَ أَبُو حَمْزَةَ الْبَغْدَادِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ عَلِمَ طَرِيقَ الْحَقِّ سَهُلَ عَلَيْهِ سُلُوكُهُ"، وَقَالَ: لاَ دَلِيلَ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِمُتَابِعَةِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَن إِلْتَزَمُ نَفْسَهُ إِلَى أَدَابِ السُّنَّةِ يَنَوَّرُ الله قَلْبَهُ بِأَنْوَارِ الْمَعَارِفِ، فَلاَ الطَّرِيقُ أَشْرَفُ مِن إِتِّبَاعِ الحَبِيبِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَامِرِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلاَقِهِ، وَسُئِلَ الشَّيْبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ التَّصَوُّفِ، فَقَالَ: هُوَ الإِقْتِدَاءُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد مدح كتاب عمدة العلماء الشيخ محمد مُاَ الله بِئطِ بن عبد القادر بن مصطفى في نبذة يسيرة بقوله: "وفي مكتوب لوالدي أن الشيخ بلغ رتبة الإجتهاد ومن مرس كتبه مثل سوق الأمة وعمدة العلماء عرف ذلك"، فمدار كتاب **عمدة العلماء** هو آيات الكتاب وأحاديث سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فذكر الوزير غداد بن ليم إن هذا الكتاب من الكتب التي دلت على أن الشيخ رحمة الله عليه حصل له المقامة الإجتهادية.

وذهب سيدي الشيخ محمد بَلُ بن عبد الله من مايرنو في السودان أن الشيخ صنف هذا الكتاب حول سنة 1218 الهجرية [1795-1796 الميلادي] في أيام السلطان نافات بن بابار، وفي أيام نافات ضربت علي الشيخ عثمان بن فودي آباط الإبل شرقاً وغرباً، فملأ القطر المغربي معارف وتلاميذ، وقف أهل زمانه عند قوله، وكان عليه مدار الشورى والفتوى والإجتهاد، فصار قطبا عند الخاصة وخاصة الخاصة ومجدداً على رأس القرن الثاني العشرة عند العلماء والعوام.

قال الشيخ رحمة الله عليه: "**نَافِعٌ**" أي ما يُسْتعانُ به في الوصول إلى الخير، فالنافع من أسماء الله الحسنى وهو الذي يُوصِلُ النفْعَ إلى مَن يشاء من خلقه، حيث هو خالقُ النّفْعِ والضرِّ والخيْرِ والشّرِّ كما فسّره الشيخ الزبيدي، فيكون هذا الكتاب يستعان في الوصول إلى علوم المعاملات التي هي العلم النافع، التي واجبت على

كل مكلّف أن يعرف ويعمل به، وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**إِن شَآءَ اللَّهُ**"، أي إن أراده الله تعالى لأنه ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكون، ﴿وَاللهُ يَهْدِى مَنْ يَّشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**لِمَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ**"، أي يكون هذا الكتاب نافع لمن يستعن به واعتمد عليه، فمعنى العَوْل: المُستعان به، وقد عَوَّلَ به وعليه، يقال: عَوِّلْ عليه أي: اسْتَعِنْ به .وعَوَّل عليه: اتَّكَلَ واعْتَمد، وورد عن ثعلب، قال اللحياني: ومنه قولهم :إلى الله منه المُشْتَكى والمُعَوَّلُ ويقال: عَوَّلْنا إلى فلان في حاجتنا فوجَدْناه نِعْم المُعَوَّلُ، قال أَبو زيد: أَعالَ الرجلُ وأَعْوَلَ إذا حَرَصَ، وعَوَّلْت عليه أي: أَدْلَلْت عليه .ويقال: فلان عِوَلي من الناس أي: عُمْدَتي ومَحْمِلي، فمعنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "نافع إن شاء الله لمن عوّل عليه" أنه جعل عِوَلاً وإجتياجاً سبب الإنتفاع.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَإِنَّمَا سَمَيْنَاهُ عُمْدَةَ العُلَمَآءِ**"، هنا بيّن الشيخ رحمة الله عليه السبب الذي سمى هذا الكتاب "عمدة العلماء" وأشار في تبيينه وقصده ونيّته، قال بعض الحكماء نهايتك في بدايتك وبدايتك في نياتك، فقد ورد في جميع روايات الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))، فإن هذا الحديث أصل من أصول دين الإسلام، ويثبت به أن جميع أعمال الإنسان ضغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها يحكم بالمقاصد في بداياتها.

فقد أوضح ذلك إبن الحاج على النمط الباهر في مدخله المشهور حتى لو فعل المرء الفعل الواحد فيمكن ينوي فيه مقاصدا متعددا، فبذلك يتمدد خير فعله حتى يحاط جميع منفعات في نياته المتعددة، فبهذا المعنى يعلم أن أعظم الناس منزلة وأكثرهم خيرا وبركة الواقف مع نياتهم، فجمع الشيخ عثمان بن فودي قضدان في نياته في تأليف هذا الكتاب.

فقال الشيخ رحمة الله عليه: "**لأن مَا أَوْرَدْنَا فِيهِ إِلَّا أَيَّاتُ الكِتَابِ وَأَحَادِيثُ السُّنَّةِ**"، فقال ذلك ليبيّن أن أصل جميع العلوم النافع هو آيات القرآن الحكيم

وأحاديث السنة المطهرة، فأما حدّ الكتاب فهو كما قال الشيخ رحمة الله عليه في إحياء السنة عن السيوطي: "فهو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه"، وأما حد السنة، فهو كما قال الشيخ أيضا في إحياء السنة عن أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجوري في منهج المنتخب: "والسنة لغة الطريقة والعادة، وهي في الاصطلاح مشتركة بين نوع من العبادات ونوع من الأدلة، فالسنة في العبادات النافلة التي واظ عليها النبي صلى الله عليه وسلم أو فهم منه الدوام عليها ولو تكرر سببها كصلاة الكسوف، وزاد بعضهم: وأظهرها في جماعة، ولسنة من الأدلة – وهي المراد هنا – ما صدر عن النّبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير".

فيختصر الشّيخ في هذا الكتاب لدلائل القرآن والسنة لأنهما أصل العلماء كما قال: "**وَهُمَا**" أي كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مُعْتَمَدُهُمْ فِي إِجْتِهَادِهِمْ**" أي هما سند العلماء في إستفراغهم الوسْعِ لتحصيل أمر من ألأمور مُستلزم للكلفة والمشقّة، فأصل الإجتهاد من جُهد، فالمراد به ردُّ القضيّة من طريق القياس إلى الكتاب والسنّة وهو مجاز من جهد كما في كتاب الأساس.

فقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَإِسْتِنْبَاطِهِمْ**" أي في إستخراجهم الأحكام، فأن الكتاب والسنّة معتمد العلماء وسندهم في إستخراجهم القضية والأحكام، فإستنباط من نبط البئر أي استخرج ماءها، وقال في البصائر: "وكلُّ شيءٍ أظهرْتَه بعد خفائهِ فقدْ أنْبطْتَه واستنْبطْتَه"، وقال في تاج العروس: "ومن المجاز استنبطَ الفقيهُ أي استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده، قال الله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ اَلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم﴾".

وكما إن الكتاب والسنة معتمد العلماء في إستنباط أصول العقيدة وأحكام الشريعة فكذلك هما أساسهم في إرتفاع ما بينهم وبين ربّهم في باب التصوّف، فإن الشيخ رحمة الله عليه وضع الكتاب والسنة بين يديه في سلوكه إلى مولاه، ولقن هذا الطريق لأزواجه وإخوانه وأخواته وسائر العارفين في قبيلته وغيرهم، فأن الشيخ رحمة الله عليه اثبت قاعدة مهمة في أصول الطريق إلى الله بإتحاد معرفة الكتاب والسنة، لأنه ذهب أن المعرفة الحاصلة بطريق القرأن عين المعرفة الحاصلة بطريق السنة،

ولا فرْقٌ بينهما لأن مصدرهما واحد، وهو الوحي، فلذا قال الحافظ بن أحمد الحكمي في اللّؤلؤ المكنون:

عِلْمُ اَلْحَدِيثِ إِذْ هُوَ اَلْبَيَانُ * لِمَا بِهِ قَدْ أُنْزِلَ اَلْقُرْآنُ
فَسُنَّةُ النّبِيِّ وَحْيٌ ثَانِ * عَلَيْهِمَا قَدْ أُطْلِقَ اَلْوَحْيَانِ

فبيّن الشيخ رحمة الله عليه لتلاميذه وطلابه أن المعرفة المستفادة بالشرع أنفس المعارف وأكمل المكاشف، وأنها أفضل من المعرفة العقلية لأنها عين ما أخبر الله به عن نفسه، كما روى ولد البنت الأكبر للشيخ، العارف عبد القادر بن مصطفى في كتابه معرفات الحق، فجميع الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين والأولياء الكمال المقربين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة فى شىء من أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم، وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة، لأنهم على آثار الرسل سلكوا، كما أشار إليه الشيخ علي الخوّاصي والشيخ عبد الوهاب الشعراني والشيخ ماء العينين وغيرهم من المجددين.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "وَلِذَلِكَ" أي بسبب أن الكتاب والسنة معتمد العلماء في إجتهادهم وإستنباطهم، أن الشيخ رحمة الله عليه سأل الله لنفسه ولكل من وقف على هذا الكتاب التوفيق في القصد المراد الصحيح بقوله: "وَفِّقُواْ لِلصَّوَابِ"، فالصواب من الصّوب أي القصد أو ما هو المراد، فهو ضدّ الخطإ، فانٌ مستقيم الصوبِ إذا لم يزِغْ عن قصْده يميناً وشمالاً في مسيره، قاله في تاج، فالمراد هنا أَلْهَمُوه للْخَيرِ أو أجعلوه رَشيداً، يُقال: "لاَ يَتَوَفَّقُ عَبْدٌ إلاَّ بِتَوْفِيقِ اللهِ" كما ورد في الحديث: ((لاَ يَتَوَفَّقُ عَبْدٌ حَتَّى يُوفِّقَهُ اللهُ))، وقَال الشيح رحمة الله عليه: "إِذْ كُلُّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِمَا لاَ يَضِلُّ"، أي كل من تمسّك بالكتاب والسنة لا يضل في عقيدته ولا في فقهه ولا في تطهير قلبه، فهذه قاعدة أهم القواعد في الدين كما سيأتي.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "وَفِي المَوَطَّا"، أي روى في الموطا للإمام أبي عَبْدِ اللهِ مَالِك بن أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أَبِي عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ بنِ غَيْمَانَ بنِ خُثَيْلِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ الأصحبي المدني إمام دار الهجرة رأس المتقنين وكبير المثبتين، هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، حُجَّةُ الأُمَّةِ، وَأُمُّهُ هِيَ: عَالِيَةُ بِنْتُ شَرِيْكٍ الأَزْدِيَّةُ، وَأَعمَامُه هُم: أَبُو سُهَيْلٍ نَافِعٌ، وَأُوَيْسٌ، وَالرَّبِيْعُ، وَالنَّضْرُ، أَوْلاَدُ أَبِي عَامِرٍ، وَكَانَ مِنْ

كِبَارِ عُلَمَاءِ التَّابِعِيْنَ، أَخَذَ عَنْ: عُثْمَانَ، وَطَائِفَةٍ، مَوْلِدُ مَالِكٍ عَلَى الأَصَحِّ: فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ وَتِسْعِيْنَ، عَامَ مَوْتِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ حَدْثٌ.

وقَالَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ، عَنْ سَعِيْدِ بنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، فَلاَ يَجِدُوْنَ عَالِماً أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِيْنَةِ))، إِنَّهُ مَالِكٌ، لَمْ يَبْقَ لَهُ نَظِيْرٌ بِالمَدِيْنَةِ، قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ: هَذَا هُوَ الصَّحِيْحُ عَنْ سُفْيَانَ. قَالَ أَحْمَدُ بنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ: نَرَى هَذَا الحَدِيْثَ أَنَّهُ هُوَ مَالِكٌ، وقد كان مالك لِهَذَا العُمَرِيِّ عِلْمٌ وَفقهٌ جَيِّدٌ وَفَضْلٌ، وَكَانَ قَوَّالاً بِالحَقِّ، أَمَّاراً بِالعُرْفِ، مُنْعَزِلاً عَنِ النَّاسِ، وَعَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: مَالِكٌ عَالِمُ أَهْلِ الحِجَازِ، وَهُوَ حُجَّةُ زَمَانِهِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: وَصَدَقَ وَبَرَّ إِذَا ذُكر العُلَمَاءُ فَمَالِكٌ النَّجْمُ، وتوفي صبيحة أربع عشرة من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة وعاش ست وثمانون سنة، نقل القاضي عياض: أن أسد بن موسى قال: رأيتُ مالكا بعد موته وعليه طَويلةٌ وثيابٌ خُضْرٌ وهو على ناقة يطيرُ بين السماءِ والأرضِ، فقلتُ: يا أبا عبد الله! أليس قدْ مُتّ؟ قال: بلى، فقلتُ: فإلامَ صرتَ؟ فقال: قدمتُ على ربّي، وكلّمني كفاحًا، وقال: سلْنِي أعطكَ وتمَنّ عليّ أرضِكَ.

وأما الموطأ المشهور فما كان أول الكتاب مسمى بهذا الإسم، فكان حينئذ الموطآت كثيرة، فورد في ترتيب المدارك: "أن أول من عمل الموطأ عبد العزيز بن الماجشون عمله كلاماً بغير حديث، فلما رآه مالك قال: ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا لبدأتُ بالآثار، ثم عزم على تصنيف الموطأ"، وفي الموطأ لمالك فوائد كثيرة وبركة، فقد قال أبو موسى الأنصاري: "وقعت نار في منزل رجل فاحترق كل شيء في البيت إلا المصحف والموطأ"، وقال فيه إبن مهدي: "ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من الموطأ"، وقال الإمام الشافعي: "ما في الأرض كتاب من العلم أكثر صواباً من كتاب مالك"، قال سليمان بن بلال: "لقد وضع مالك الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث أو أكثر، فمات وهي ألف حديث ونيف، يلخصها عاماً عاماً بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين".

وقال عمر بن أبي سلمة: "ما من مرة أقرأ الجامع من الموطأ إلا رأيتُ في منامي رجلا يقول لي: هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقال صفوان بن عمر بن عبد الواحد: "عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يوماً، فقال: كتاب ألفتُه في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوماً!، فقال: ما تتفقهون فيه!"، فسر الشيخ رحمة الله في ذكر الموطأ في بداية عمدة العلماء بأنه الأصل من كتب أصول الحديث، كما ذكر القاضي أبو بكر بن العربي: "الموطأ هو الأصل الأول واللباب والبخاري الأصل الثاني في هذا الباب، عليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي".

قد ورد خدمات لهذا النص في الموطاء من رواية يحيى بن يحيى الليثي، فمعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ""تَرَكْتُ"، أي تركت بعد موتي أو تركت فيكم بعدي، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فِيكُم"، أي الخطاب لأصحابه أو لأمّته أو الإنس والجن أجمعين، فمعناه تركت في أصحابي أو تركت في أمتي أو تركت في الثقلين، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَمْرَيْنِ" أي أمرين ثقلين أو أمرين مهمين، وفي رواية أبي هريرة: ((إني قد تركت اثنتين))، أي شيئين، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَنْ تَضِلُّواْ" أي لن تضلوا في عقيدتكم ومعاملتكم وتطهير قلوبكم أبدا لأن "لن" حرف نفي أبدي، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا" أي ما لزمتهما أو إتبعهما أو حفظهما لأن "مَسَكَ بِهِ" أو "أَمْسَكَ بِهِ" بمعنى احْتَبَسَ أي اعْتَصَمَ بِهِ، فإمساكُ الشيء التعلّق به وحفظه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي يتمسّكون به أو يحفظونه أي يؤمنون به ويحكّمون بما فيه، وقال تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾" أي قد اعتصم بها، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كِتَابَ اللَّهِ" أي لن تضلوا ما تمسكتم بالكلام المنزل على محمد صلى الله عليه "وَ" لن تضلوا ما تمسكتم بـ"سُنَّةَ رَسُولِهِ" أي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وسيره وعادته وأدلته التي صدرت عنه غير القرآن من قوله وفعله وتقريره وعباداته النافلة التي واظب عليها صلى الله عليه وسلم وأظهرها في جماعة، أو فُهِمَ منه الدوام عليها ولو تكرر سببها.

فقد أثبت آيات كثيرة في وجوب إستمساك بكتاب الله وسنة رسوله، منها ما قال الله تعالى: ﴿فاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِيَ بِهِ مَن نَشَاءُ مِن عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، وغيرها من آيات القرآنية في حثّ الناس في إستمساك بالكتاب والسنّة، أما الأحاديث الدّالة على وجوب الإستمساك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكثيرة ايضا، منها ما ورد في التّمهيد لابن عبد البر: عن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه))، وهذا أيضا محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد وروى في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث من أحاديث أبي هريرة قال فال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إني قد تركت اثنتين لن تضلوا بعدهما أبدا كتاب الله وسنتي))، وروى عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم)).

وفي رواية الزهري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تَعَمَلُ هَذِهِ الأُمَّة بُرهةٌ بِكِتَابِ اللهِ ثُمَّ تَعَمَلُ بُرهةٌ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ تَعَمَلُ بَعدَ ذَلِكَ بِالرَّأيِ، فَإِذَا عَمِلُواْ بِالرَّأيِ ضَلُّواْ))، فقد قال معن بن عيسى: "سمعتُ مالكاً يقول: إنما أنا بشر أخطىء وأصيب، فأنظروا في رأيي، فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"، انتهى.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَأَوْدَعْنَا فِي هَذَا التَّأْلِيفِ المُبَارَكِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ**" أي وضعنا فيه أو ذكرنا فيه سبعة أبواب، سماه مباركًا تبارّكا بكتاب الله المبارك، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فاتَّبِعُوهُ﴾ أي كثير النفع لما فيه من التوسعات وأنواع الخيرات والبركة الزيادة، كما قال علامة السودان الأستاذ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل، فسمى هذا الكتاب مُبارَكاً إشارةً إلى زيادة النماء فيه وفُيُوض

الخيرات والساعدة الإلاهي تصدر فيه ومنه من حيث لا يُحسُّ وعلى وجه لا يُحْصى ولا يُحْصَر.

فسألتُ سيدي الشيخ محمد بل بن عبد الله في مايرنو السودان، لِمَا سمي الشيخ كتاب عمدة العلماء مباركا؟ هل فيه من البركة؟ فقال رحمه الله تعالى: نعم فيه بركة كثيرة لأنه لا ورد فيه إلا آيات القرآن المبارك وأحاديث النبي، فمن قراء عمدة العلماء كأنه قراء وردا ووظيفة وحزبا، ويجمع في قرأته نوع من العبادة ونوع من الدراية، وقال أيضا أن الشيخ رحمة الله عليه وصف كتاب عمدة العلماء بمبارك تبرّكا بفاتحة الكتاب، فأودع في عمدة العلماء سبعة أبواب كما نزل في فاتحة الكتاب سبع آيات، انتهى، فمن فائدة تنظيم هذا الكتاب المبارك على سبعة أبواب أشارة إلى سره العظيم ومعلّقته مع سائر كتب العلماء.

بأن مقام **عمدة العلماء** عند سائر كتب العلماء كمثل مقام فاتحة الكتاب عند سائر سور القرآن والكتب الإلاهية، فإنّ في فاتحة الكتاب سبع آيات التي مندرج فيها جميع علوم الدين ومقاصد جميع الكتب المنزل من السماء، فقال الحسن البصري: "انّ اللّه أودع علوم القرآن في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان على علوم القرآن"، هذا لأنها اشتملت على الثّناء على اللّه بما هو أهله وعلى التّعبد بالأمر والنّهي وعلى الوعد والوعيد، وكما اشتملت الفاتحة على هذه العلوم كذلك اشتمل **عمدة العلماء** على آيات الكتاب وأحاديث السنة التي تثبت بها أصول الدين وفروع الدين الظاهرة وفروع الدين الباطنة.

فكتاب **عمدة العلماء** اشتمل على مقدمة وجملة علوم الإيمان الإسلام والإحسان، وقال الإمام الطّيبي في الفاتحة: "هي مُشتملة على أربعة انواع من العلوم الّتي هي مناط الدّين أحدها علم الأصول، ومعاقده معرفة اللّه وصفاته، وإليها الإشارة بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ومعرفة النّبوات، هي المراد بقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومعرفة المعاهد إلى المعاد بقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وثانيها علم الفروع، وإسمه العبادات وهو المراد بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وثالثها علم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخلاق، وأصله الوصول إلى الحضرة الصّمدانية والالتجاء إلى جناب الفردانية والسّلوك لطريقه والإستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله:

﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينَ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾، ورابعها علم القصص والاخبار عن الأمم السّالفة والسّعداء منهم والأشقياء، وما يحصل بها من وعد مُحسنهم ووعيد مُسيئهم، وهو المراد بقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِينَ﴾".

وروي عن أبي هريرة انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال لأبي: ((ألا اخبركم بسورة لم ينزل في التّورية والإنجيل والقرآن مثلها؟)) قال: بلى يا رسول اللّه، قال: ((فاتحة الكتاب إنّها السّبع المثاني والقرآن العظيم الّذي اوتيته))، وقال العارف القناوي في مرآة العارفين: "وفي الفاتحة ما فصل في الكتب ادرج وادغم، وما ادرج في الفاتحة ستر في البسملة، وما فيها ستر في الباء وابطن، وما ابطن في الباء في النقطة اضمر وابهم"، فكذلك جعل الشيخ رحمة الله عليه هذا الكتاب المبارك على سبع أبواب وادرج فيه جميع علوم الدين أصولها وفروعها إجمالا كما يجمع الله تعالى جميع الكتب الإلاهي في سورة الفاتحة، فمن علم تفسير كل آيات وأحاديث في كتاب عمدة العلماء وحفظها وعمل بها فهو من العلماء العاملين.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**البَابُ الأَوَّلُ: فِي بَيَانِ دِينِ الإِسْلاَمِ وَأَقْسَامِ عُلُومِهِ**" أي ودع في الباب الأوّل ما إتضاح ماهية الدين لأن أصل بيّان من بَانَ أي اتّضح وإظهر، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي وضوح معناه وظهوره لغير، وأما الدين فأصله من دَانَ أي جزاء، قال خُوَيْلِدُ بن نوفل في بعض شعره: "واعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ"، أي كما تُجازِي تُجازَى بِفعلك، فالدِّين بالكسر معناه الجزاء والعادة والملّة والعبادة والطّاعة، ومعنى هنا بالدين دين الإسلام الذي نسخ الأديان كلها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، وقال تعالى: ﴿لآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾، فلدين الإسلام علوم وينفصل هذه العلوم على ثلاثة أقسام، وهي أصول الدين وفروع الدين الظاهرة وفروع الدين الباطنة، كما سيأتي.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**البَابُ الثَّانِي: فِي بَيَانِ أَيَاتِ أُصُولِ الدِّينِ، البَابُ الثَّالِثُ: فِي بَيَانِ أَحَادِيثِ أُصُولِ الدِّينِ**" أي ودع في الباب الثاني والباب الثالث إيضاح وإظهار الآيات والأحاديث في أصول الدين أي في علم التّوحيد أو علم العقيدة الذى واجب على كل مكلف أن يعرف ويعتقد به بإستثناء من ذلك علم الكلام، فأصل الشّيء أسفله وأساسه ومصدره ومنشأته وجدره، فجمعه أصول، فأصول الدّين قواعد عقائده، قال الشّيخ رحمة الله عليه في فتح البصائر: "أن فنّ التّوحيد ينقسم إلى قسمين أصول الدّين وعلم الكلام، وأصول الدّين من فروض الأعيان وعلم الكلام من فروض الكفاية"، فمعنى فروض الأعيان هي كل علوم وعمال التي وجبت علي كل مكلف أن تعرف وتعمل بها، وأما فروض الكفاية فهي العلوم والعمال الّتي إذا قام بها بعض المكلفين يكفي لسائرهم، فعلم أصول الدّين أهم العلوم على المكلف أن يعلم ويفهم لأن مداره الإيمان والتّصديق بالقلب.

وفي الحقيقة إن التّمييز بين المؤمنين الكمال والمسلمين العاصين والمنافقين والكفار الصّريح هو في إيمانهم وتصديقهم وفهمهم لأصول الدّين، فالكفار الصّريح يكفروا بوجود الله أو يشركوا به شيئا في عبادتهم أو يكفروا بالأنبياء أو بعضهم ويكفروا ببعض أو يكفروا بجميع ما جاء بهم من السّمعيات، فالمنافقون أنهم يعملوا بظواهر أمور الدّين كالصّلاة والزّكاة وغيرهما، لكنهم في سرائرهم يكفروا ببعض أو بجميع أصول الدّين، فيميز المنافقون من المؤمنين بتكذيبهم بأمر أصول الدّين، وأما المسلمون العاصون فهم يؤمنوا بأمر أصول الدّين ولكن فهمهم وإدراكهم فيه ناقص، وأخلاقهم في بواطن فروع الدّين معيب أو محجوب بسبب شهواتهم، فلذلك أعمالهم في فروع الظّاهر وأخلاقهم في فروع الباطن ناقص، بسبب عدم إدراكهم في أصول الدّين، فإذا تبحّروا المسلمون العاصون في حقيقة أصول الدّين يملأ قلوبهم بنور الإيمان وتابوا ويبدؤوا بصحة بواطن أخلاقهم وتصحيح ظواهر أعمالهم، وأما المؤمنون الكمال إن إيمانهم وتصديقهم وإدراكهم في أصول الدّين تاما وخالا من الريب، فلذلك إيمانهم في جميع أمور أصول الدّين أنه حثّهم إلى حسن بواطن أخلاقهم وإصلاح ظواهر أعمالهم.

فعلم أصول الدّين والتوحيد والعقيدة هو أهم أمور الدّين الذي به يدور كل شيء، فقسم الشيخ مسئلة أصول الدين على البابين، في الباب الثاني ذكر آيات القرآن التي تبثت بها أمور الإلاهيات والنبويات والسمعيات، وفي الباب الثالث ورد أحاديث السنة التي تثبت بها كل أمور أصول الدين من هذه الثلاثة الأقسام.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**البَابُ الرَّابِعُ: فِي بَيَانِ أَيَاتِ فُرُوعِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ، البَابُ الخَامِسُ: فِي بَيَانِ أَحَادِيثِ فُرُوعِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ**" أي ودع في الباب الرابع والباب اخامس إيضاح وإظهار الآيات والأحاديث في فروع الدين الظاهرة أي علم الفقه أو علم الشريعة فهو العلم يتعلق بأحكام الظاهر الذي واجب على كل مكلف أن يتعلم ويعمل به، فأصل الشريعة من: شَرَعَ أي تناول الماءَ بفيه، فمعنى شريعة في كلام العرب: مَشرَعهُ الماء وهي مَورِدُ الشاربة التي يَشرَعُها الناس فيشربون منها ويستقون، فمعناه في الدّين كما قال اللّيث: المواضعُ الّتي يُتحدر إلى الماء منها، وبها سمي ما شَرَعَ الله للعباده شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيرها من الأعمال الظاهر.

وأقول إن في الفروع الظاهرة عين علوم الحقائق فلا يظهر أسرارها إلا بإثبات الظاهر القواعد، فالفروع الظاهرة مظهر للباطن وعلومه كما سأبيّن لكم إن شاء الله، وفي هذين الفصلين لم ذكر الشيخ رحمة الله عليه إلا أيات الكتاب العزيز وأحاديث السنة الصحيح ليبيّن إن منهجه بعد تحصيله مقام القطبنية المجددية الإجتهادية والكشف الأكبر شهد أن جميع أقوال المجتهدين مقتبسة من شعاع أنوار الكتاب والسنة.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**البَابُ السَّادِسُ: فِي بَيَانِ أَيَاتِ فُرُوعِ الدِّينِ البَاطِنَةِ، البَابُ السَّابِعُ: فِي بَيَانِ أَحَادِيثِ فُرُوعِ الدِّينِ البَاطِنَةِ**"، أي ودع في الباب السادس والباب السابع إيضاح وإظهار الآيات والأحاديث في فروع الدين الباطنة أي الأمر الذي يتفرع من أصول الدين ويتعلق ببواطن الإنسان أي بقلوبهم، وهي الإحسان أو علم التصوّف أو علم الحقيقة، فالحقيقة هي علم الأسرار وهو ما يتعلق بقلوب الناس وتطهيرها وما حصل لها من المعارف والمكاشفات والحقائق كما سيبينه إن شاء الله، قال أبو زكريا الفراء: وكلُّ ما كان في القرآن من نَكِرات الحق أو

معرفته، فالحقيقة ما يصير إليه حَقُّ الأمر ووجُوبُه، وبلغ حقيقةَ الأمر أي: يَقِينَ شأْنه.

فيسمى العلماء هذا العلم علم التزكية أو علم التصوّف، فقسمه على قسمين تصوّف للتخلّق وتصوّف للتحقّق، قال الشيخ رحمة الله عليه في التفرقة بين علم التصوف الذي للتخلق وبين علم التصوف الذي للتحقق في مدار علم التصوف للتخلق: "هو تزكية الباطن بالأخلاق المحمودة فيه وتطهيره من الأوصاف المذمومة"، وسماه بعض شيوخ علم التخلي والتحلي، أي تخلي القلب من كل صفات المهلكات كالعجب والكبر والرياء والغضب والحسد والبخل والحقد وغيرها وتحلي القلب بكل الصفات المنجيات كالتوبة والتقوى والصبر والتوكل والخوف والرجاء والحمد والشكر وغيرها من صفات المنجيات.

فقال الشيخ في كتابه عمدة البيان: "ويَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ اَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ مِقْدَارَ مَا يَجِبُ اَلتَّخَلُّقُ بِهِ مِنَ اَلصِّفَاتِ اِلمَحْمُودَةِ وَمَا يَحْرُمُ مِنَ اَلصِّفَاتِ اِلمَذْمُومَةِ" فما ذكر الشيخ في هذين الفصلين إلا آيات القرآنية وأحاديث السنة بأن الإحسان هو كالإيمان الذي لا يحكم في هذا الدنيا فالحكم للإيمان والإحسان في الآخرة لأنهما من الأمور يتعلق بسرائر وما يستتر في القلوب كما بيّن ذلك الشيخ في فتح البصائر، فلا يحتاج في علاجهما إلا بكلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تحت إرشاد العالم العامل الشيخ المرشد الكامل مشروط بعلم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**هَذِهِ جُمْلَةُ أَبْوَابِ هَذَا الكِتَابِ**"، أي أن هذه الأبواب السبعة هي مجتمعة لهذا الكتاب المبارك، فجُملة بالضمّ جماعة الشيء، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ لاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي لِمَا لا نزل عليه القرآن مُجْتَمِعًا، لا كما أُنْزِلَ نُجُومًا مُفْتَرِقَةً، فيعنى المصنف رحمة الله عليه هنا أن جميع هذه آياتها وأحاديثها وما يصدر منها من الأحكام والعلوم والحكمة هي حملة أبواب عمدة العلماء.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَكُلُّ مَنْ فَهِمَ جَمِيعَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ بَابٍ مِّنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ فِي الأَيَاتِ وَالأَحَادِيثِ وَحَفِظَهُ فَهُوَ عَالِمٌ**"، أي هو عالم بعلوم الدّين

إذا فهم جميع هذه الآيات والأحاديث التي ورد في هذا الكتاب، فمعنى بفَهِمَ الشيء عَلِمَهُ وَعَرَفَهُ بِالْقَلْبِ، فالفَهْمُ كما فسره الشيخ الزبيدي: "هو سُرعةُ انتِقالِ النّفسِ من الأمور الخارجيّة إلى غيرها، وقيل الفهم تصوُّرُ المعنى من اللّفْظِ، وقيل هيئةٌ لِلنّفْسِ يُتحقّق بها ما يحْسُنُ، وفي أحكام الآمديّ: الفهْم جَودةُ الذّهْنِ من جهة تهيُّئه لاقْتِناص ما يردُ عليه من المطالب".

فمعنى الشيخ رحمة الله عليه بفهم هنا إدراك معانى جميع الآيات والأحاديث تثبت في هذا الكتاب المبارك من أسبابها وناسخها ومنسوخها وأحكامها وتفسيرها وغيرها من وجوه الإستدراك، فمن فَهِمَ جميع ما ورد في عمدة العلماء من هذا المعنى فهو العالم العامل العارف بالله، اللهم أجعلنا من تلاميذهم.

فقد ميّز الشيخ رحمة الله عليه الفرق بين العالم وغيره في مسائل المهمة إذا قال عن الشيخ أحمد زروق: "النَّاس ثلاثةٌ: عالم متمكنٌ في تبصّره في أخذ المسائل بطلب الدليل وإن لم يكنْ مجتهدًا، أو متوسط في الأمرين العامة والعلماء، فلا يصح إتباعه إلا لمن تبصّر في شأنه، أو أوجب له ما علم من الشريعة إن هذا ممن يقتدى به، ثم لا يأخذ منه ما يأباه علمه من قواعد الشريعة إذ لا يجوز لأحد أن يتعدى علمه ولا تقف ما ليس لك به علم، أو عامي وحقّه أن يقف مع ما لا يشكّ في خقيقته من حقوق الله وذكره والعمل على الجادة التي لا يشكّ فيها، وإلا فهو مستزئ بدينه ومتلاعب به".

فإن الشيخ عثمان بن فودي يحث الناس لحفظ العلم في الصدور بقوله: "وَحَفِظَهُ" أي حفظه في القلب والجوارح، فالعالم في حقيقة مَن عَلِمَ العلم بصدره وعمل به، فقال أبو زيد القيرواني في ذلك: لا يُؤخذُ العلمُ مِن كُتُبِيٍّ، ولا القرآنُ مِن مُصْحَفِيٍّ، وإنْ كَانتْ الكتبُ في آخر الزمانِ خزائِنُ العلوم، فإنَّ مَفَاتِيحَ مَغالِقِها الصُّدورُ، وقد كان العْلِمُ في الصّدرِ الأَول خزائِنُه الصّدورُ ولم تكنْ كُتُبٌ، وصار في آخرِ الزمانِ أكثرُه في الكتبِ وأقَلَّه في الصدورِ، وكثُرت الكتبُ بالشرح والتَّأليد.

فقال تعالى: ﴿فَأسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لاَ تَعَلَّمُونَ﴾ أي أسألوا الذين يحفظون الكتاب ويعرفون معناه ويعملون به إن كنتم لا تعلمون فكونوا مثلهم في الحفظ والفهم والعمل، فأن الله تعالى لا يقول: فأطلعوا في الكتب إن كنتم لا تعلمون،

فالعالم هنا في معنى الشيخ رحمة الله عليه هو الذي يعلّم الكتاب والسنة ويحفظهما في صدره ويعمل بعلومهما، ولا يعلّم الدين لأموال أو جاه أو سمعة أو غير ذلك من اعراض الدنيوية، فقد روى في الحديث: ((مِنْ عَلامَةِ سُخْطِ الله تعالى على العالِمِ مَوْتُ قَلْبِهِ))، فسُئِلَ الشيخ أحمد بن ادريس: "كيف يموت قلبه؟، فقال: "بطلبِهِ الدّنيا بعلمه".

فما يعنى الشيخ رحمة الله عليه بعالم الذي يعلم ظواهر الدين فقط، فالعالم بالظاهر بدون باطن هو الذي جعل الدنيا قبلة قلبه والجاه محرابه والسلاطين والأغنياء جليسه، فغاية علمه المنافسة والمباهات واستمالة وجوه الناس إليه، فعلمه شريك له في خسرانه ومعين له في عصيانه، فهو العالم السوء من أنصار الشيطان الذي يبع علمه بالدنيا.

وقال الشيخ الأكبر: "العلمُ هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب، والعالِمُ هو القلب والمعلوم هو ذلك الأمر المحصّل"، فوعاء هذا العلم الأنبياء والمرسلون الذين يبالغون النذارة والبشارة، فلما قبضهم بموت خاتمهم صلى الله عليه وسلم أقام العلماء العمال بعلمهم، فيثبت في قلوبهم وصدورهم وعقولهم معانى جميع الآيات والأحاديث التي يثبت بها جميع علوم الدين، فينطق العلماء بنور الأنبياء نيابة عنهم، فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اَلْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ))، أي ورثة علومهم وأحوالهم وأنوارهم ومقاماتهم، فكل آيات وأحاديث يثبت في هذا الكتاب المبارك كفاية للعبد ليحصل له مقام العلماء العاملين بمعانى السابق، فهذا العهد الميثاق من الشيخ قدسه الله سره وافادنا ببركته، فقد جربته ووجدته صحيحا.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَأَورِدُ فِي هَذَا الكِتَابِ إن شَآءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَكْفِي أَنْ يَّكُنَ سُلَّمًا لِّمَن نَوَّرَ اللَّهُ بَصِيرَتُهُ إِلَى طَلَبِ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ فِي كُلِّ بَابٍ مِّنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ فِي الايَاتِ وَالأَحَادِيثِ**"، فإن أهم الكلمة في مصطلاحات العلماء والعارفين هي بصيرة فهي دالت على معنى الذي قصد به الشيخ في لفظه: عَالِم وأن معناه به عالم بالله الذي يجمع مراتب الشريعة والحقيقة، فلذا يقال في رجلٍ عالِمٍ بصيرًا، أي بصر في شأنه، فكلمة بصيرة من بَصَرَ أي حسُّ العين، فهو النور الذي تُدرِكُ به الجارحةُ المُبْصراتِ، فمحله العين والقلب، فالبصر

من القلب نظرُهُ وخاطِرُهُ، فالبصيرة قوّةُ القلبِ والمُدرِكةُ، قال الليث: "البصيرة اسمٌ لما اعتَقِدَ في القلب من الدّين وتحقيق الأمر"، قال تعالى: ﴿أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، أي على معرفةٍ وتَحَقُّقٍ، قال الشيخ الزبيدي أن البصير اسم لعالمٍ الذي رجلٌ بصيرٌ بالعلمِ أي عالمٌ به، قال الشيخ القاشاني في اصطلاحات الصوفية: "البصيرة قوّة للقلب منوّرة بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس الذي ترى به صور الأشياء وظواهرها، وهي القوّة التي يسمّيها الحكماءُ القوة العاقلة النظرية، أما تنوّرت بنور القدس وانكشف حجابها بهداية الحقّ فيسمّيها الحكيم القوّة القدسية".

وقسم الشيخ لسان الدين الخطيب بصيرةً على ثلاثة أقسامٍ: الأول يغضب للخبر القائم بالشريعة لعلمه بصدره عن عين لا يخاف عاقبتها، الثاني أن يشهد العدل في الهداية والإضلال والثالث بصيرة تفجر عين المعرفة وتثبت الإشارة وتثمر الفراسة، فالعالم هو الذي فتح الله بصيرته بالمعارف ونوّر قلبه بأنوارها، فأن كل الآيات والأحاديث في هذا الكتاب تكون كفاية في تحقيق أمر الدين ظاهرا وباطنا لمن نوّر الله بصيرته بنور القدس.

فلذا قال الشيخ رحمة الله عليه: "**إِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَطْلُبُهُ مِن هَذَا الكِتَابِ فَهُوَ مُنْدَرِجٌ**"، أي إن لم يجده في الباب المطلوب فيجده مندرجا في الباب الآخر، أو إن لم يجده في الآية فيجده مندرجا في الحديث والعكس، فأن الأحاديث تبيّن وتفسير لآيات الكتاب والآيات مرجع وأصل وسبب للأحاديث، أو معناه إن لم يجد مسائل أصول الدين في بابها فيجدها مندرجا في الباب فروع الدين الظاهرة وفي الباب فروع الدين الباطنة، أو إن لم يجد مسائل فروع الدين الظاهرة في بابها فيجدها مندرجا في الباب أصول الدين وفي الباب فروع الدين الباطنة، أو إن لم يجد مسائل فروع الدين الباطنة في بابها فيجدها مندرجا في الباب أصول الدين وفي الباب فروع الدين الظاهرة، أو معاناه والله اعلم، إن لم يجد حجة لقائل القول في ظاهر الفظ الكتاب والسنة فيبحث ويجده مندرجا في باطنه من جهة الرمز والإيماء والقياس والمجاز على سبيل الإجمال والتمثيل، أو معناه أن كل شيء مندرج فيه لأنه لا يثبت فيه إلا آيات القرآن وأحاديث السنة، فهما لا يخال من شيء، قال تعالى في اشتمال آياته:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى في اشتمال حرمة أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنَّ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾، أو معناه لا بد أنه لا يجد أسرار الشيء في الظواهر، فأنه مندرج في البواطن، فاطلب التوفيق من الله وتنوير التبصّر، فتجد الأسرار مندرج في كل شيء.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "**وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ**" أي أن التوفيق من الله تعالى فيما قال، وفي تبليغه، وفيما يفهم منه، قال أبو حميد الغزالي: "التوفيق هو الذي لا يستغني عنه الإنسان في كل حال، ومعناه موافقة إرادة الإنسان، وفعله قضاء الله تعالى وقدره، وهو صالح للاستعمال في الخير والشر، ولكن صار متعارفاً في الخير والسعادة"، قال الشيخ على الهُجْوِيرِيّ في كشف المحجوب: "إِنَّ التَّوْفِيقَ هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى الطَّاعَةِ عِنْدَ الإِسْتِعْمَالِ، فَحِينَ يَكُونَ الْعَبْدُ مُطِيعاً لِلَّهِ، يَكُونُ لَهُ مِنَ اللهِ المَزِيدُ فَيُسَمُّونَ تِلْكَ الْقُوَّةِ اَلَّتِي يُطِيعُ بِهَا الْعَبْدُ بِالتَّوفِيقِ"، قال الشيخ الْجُرْجانيّ في التعريفات: "التَّوْفِيقُ جَعَلَ اللهُ فِعْلَ عِبَادِهِ مُوَافِقًا لِمَا يُحِبَّهُ وَيَرْضَاهُ"، ولذلك ورد في الحديث: ((لاَ يَتَوَفَّقُ عَبْدٌ حَتَّى يُوفِّقَهُ اللهُ)).

فيختم الشيخ كل باب من هذه الأبواب بهذه الصيغة لينفى العجب والكبر من قلبه وليحفظ عماله الصالح من الإفساد، قال السمرقندي: "من أراد أن يكسر العجب فعليه بأربعة أشياء: أوّلها أن يرى التوفيق من اللَّه تعالى فإذا رأى التوفيق من اللَّه تعالى فإنه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه، والثاني أن ينظر إلى النعماء التي أنعم اللَّه بها عليه فإذا نظر في نعمائه اشتغل بالشكر عليها واستقلّ عمله ولا يعجب به، والثالث أن يخاف أن لا يتقبل منه فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه، والرابع أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد قلّ عجبه، وكيف يعجب المرء بعمله ولا يدري ماذا يخرج من كتابه يوم القيامة"، قال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ﴾، وهو كذلك.

وقال الشيخ رحمة الله عليه في طريق الجنة: "وَإِنَّمَا يَلْزَمُكَ اِجْتِنَابُهُ [أي العجب] لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا إِنَّهُ يَحْجُبُ عَنِ التَّوْفِيقِ، وَالثَّانِي إِنَّهُ يُفْسِدُ اَلْعَمَلَ الصَّالِحَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"، انتهى وبانتهئه انتهيتُ بشرح المقدمة لعمدة العلماء في

وقت سحور يوم الجمعة سبعة أيام خالت من رمضان سنة 1435 الهجرية [4 يولي، 2014 الميلادي]، في كُوتُنُو بَيْنِين أفريكَى وبالله التوفيق، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.